مختارات من الخطب المنبرية الرمضانية

البشارة بقدوم شهر رمضان المبارك

لمعالي الشيخ العلامة

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

البشارة بقدوم شهر رمضان المبارك[1]

الحمد لله الَّذي جعل لعباده مواسم يتقربون إليه فيها بأنواع الطَّاعات، فيغفر لهم الذُّنوب ويرفع لهم الدرجات، وأشهد أن لا إله إلَّا الله حكم فقدر، وشرع فيسر، ولا يزال يفيض على عباده من أنواع البر والبركات، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله أوَّل سابق إلى الخيرات، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الَّذين كانوا يحافظون على طاعة ربِّهم في جميع الأوقات، ويخصون أوقاته الفضائل بمزيد من القربات، وسلَّم تسليمًا كثيرًا، أمَّا بعد:

أيُّها النَّاس، اتقوا الله تعالى، واعلموا أنَّه يجب على المسلم أن يعبد ربَّه ويطيعه في جميع مدة حياته قال تعالى:﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[الحجر: ٩٩] قال بعض السَّلف: ليس لعمل المسلم غاية دون الموت، وينبغي له أن يخص مواسم الخير بمزيد اهتمام واجتهاد، وقد جعل الله مواسم للعبادة تضاعف فيها الحسنات أكثر من غيرها، ومن هذه المواسم شهر رمضان المبارك:﴿ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ ﴾[البقرة: ١٨٥] فيا له من موسم عظيم الشَّأن، وقد قارب حلوله عليكم ضيفًا مباركًا ووافدًا كريمًا، فاستقبلوه بالغبطة والسرور، واشكروا الله إذا بلَّغكم إيَّاه، واسألوه أن يعينكم على العمل الصَّالح فيه، واسألوه القبول، فقد كان النَّبي ﷺ يدعو الله ببلوغ رمضان، فقد روى الطبراني[2] وغيره عَن أَنَسٍ ﷺ أن النَّبي ﷺ كان يدعو الله ببلوغ رمضان، فكان إِذَا دَخَلَ شَهْر رَجَب، قَالَ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ وَشَعْبَانَ وَبَلِغْنَا رَمَضَانَ**». وكان السَّلف الصَّالح يدعون الله أن يبلغهم، فإذا بلغهم إيَّاه دعوا الله أن يتقبله منهم.

وكان النَّبيّ ﷺ يبشر أصحابه بقدوم هذا الشَّهر المبارك، شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر، فقد روى ابن خزيمة والبيهقي[3] وغيرهما عَن سَلْمَان ﷺ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ الله ﷺ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِن

---

(١) ينظر/ الخطب المنبرية في المناسبات العصرية للمؤلف (١/ ٥٧ ـ ٦٠) والطبعة المعتمد في الإحالة هي طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة [١١] طبع عام ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٣٩٣٩) وعبد الله في زوائد المسند (١/ ٢٥٩).

(٣)أخرجه في صحيحه في كتاب الصوم، برقم(١٨٨٧) والبيهقي في شعب الإيمان برقم (٣٦٠٨) والحارث بن أبي أسامة في مسنده برقم(٣١٨) والهيثمي في بغية الباحث في زوائد مسند الحارث برقم (٣٢١).

شَعْبَانَ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ مُبَارَكٌ، شَهْرٌ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، شَهْرٌ جَعَلَ اللهُ صِيَامَهُ فَرِيضَةً، وَقِيَامَ لَيْلِهِ تَطَوُّعًا، مَن تَقَرَّبَ فِيهِ بِخَصْلَةٍ مِن خِصَالِ الخَيْرِ كَانَ كَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَمَن أَدَّى فِيهِ فَرِيضَةً فِيهِ كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ، وَالصَّبْرُ ثَوَابُهُ الجَنَّةُ، وَشَهْرُ المُوَاسَاةِ، وَشَهْرٌ يُزَادُ فِيهِ الرِّزقِ فِي رِزْقِ المُؤْمِنِ فِيهِ، مَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِمًا كَانَ مَغْفِرَةً لِذُنُوبِهِ، وَعِتْقَ رَقَبَتِهِ مِن النَّارِ، وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِن غَيْرِ أَن يَنْقُصَ مِن أَجْرِهِ شَيْءٌ» قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ لَيْسَ كُلُّنَا يَجِدُ مَا يُفَطِّرُ الصَّائِمَ؟، قَالَ ﷺ: «يُعْطِي اللهُ هَذَا الثَّوَابَ مَن فَطَّرَ صَائِمًا عَلَى مَذْقَةِ لَبَنٍ، أَوْ تَمْرَةٍ، أَوْ شَرْبَةِ مَاءٍ، وَمَن سَقَى صَائِمًا سَقَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِن حَوْضِي شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا حَتَّى يَدْخُلَ الجَنَّةَ، وَمَن خَفَّفَ عَن مَمْلُوكِهِ فِيهِ غَفَرَ اللهُ لَهُ وَأَعْتَقَهُ مِن النَّارِ، وَهُوَ شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِن النَّارِ، فَاسْتَكْثِرُوا فِيهِ مِن أَرْبَعِ خِصَالٍ: خَصْلَتَيْنِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ وَخَصْلَتَيْنِ لَا غِنَى بِكُمْ عَنْهُمَا، فَأَمَّا الخَصْلَتَانِ اللَّتَانِ تُرْضُونَ بِهِمَا رَبَّكُمْ: فَشَهَادَةُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَتَسْتَغْفِرُونَهُ، وَأَمَّا الخَصْلَتَانِ اللَّتَانِ لَا غِنَى بِكُمْ عَنْهُمَا: فَتَسْأَلُونَ اللهَ الجَنَّةَ، وَتَتَعَوَّذُونَ بِهِ مِن النَّارِ».

عباد الله، لقد بيَّن لكم رسولُ الله ﷺ في هذا الحديث الشَّريف فضل هذا الشَّهر وما فيه من الخيرات، وحثكم على الاجتهاد فيه بالأعمال الصَّالحة من فرائض ونوافل، من صلوات وصدقات، وبذل معروف وإحسان، وصبر على طاعة الله، وعمارة نهاره بالصِّيام وليله بالقيام، واجتهاد في الدُّعاء والذِّكر، وطلب لليلة القدر الَّتي خير من ألف شهر، فلا تضيعوه بالغفلة والإعراض كحال الأشقياء الَّذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فلا يستفيدون من مرور مواسم الخير عليهم، ولا يعرفون لها حرمة، ولا يقدرون لها قيمة.

فيا أيها العاصي: تب إلى ربِّك، وانتبه لنفسك، واستقبل هذا الشَّهر بالإقبال على الله، فإن الله يغفر الذُّنوب جميعًا، وداوم على التَّوبة والاستقامة في بقيَّة عمرك، لعل الله أن يختم لك بالسَّعادة. ولعلك تكتب في هذا الشَّهر من جملة العتقاء من النار.

شهر رمضان تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب النيران، ويصفد فيها كلّ شيطان، وتتنزل فيه الخيرات من الرحمن.شهر عظمه الله فأعظموه، وضيف كريم سينزل بكم فأكرموه، واحمدوا الله على بلوغه واشكروه.

عباد الله، كثير من النَّاس لا يعرفون هذا الشَّهر إلَّا أنَّه شهر لتنويع المأكل والمشارب فيبالغون في إعطاء نفوسهم ما تشتهي، ويكثرون من شراء الكماليات الَّتي لا داعي لها، ومعلوم أنَّ الإكثار من الأكل يكسل عن الطَّاعة، والمطلوب من المسلم في هذا الشَّهر أن يقلل من الطَّعام حتَّى ينشط للعبادة، والبعض الآخر من لا يعرف شهر رمضان إلَّا أنَّه شهر النَّوم والبطالة، فتجده معظم نهاره نائمًا، فينام حتَّى عن أداء الصَّلاة المفروضة، والبعض الآخر من النَّاس لا يعرف شهر رمضان إلَّا أنَّه وقت للسهر في اللَّيل على اللَّهو واللَّعب والغفلة، فإذا فرغ من سهره تسحر ونام عن صلاة الفجر، والبعض الآخر يجلس على مائدة إفطاره ويترك صلاة المغرب مع الجماعة، هذا ما عليه كثيرٌ من النَّاس اليوم في شهر رمضان إنَّهم يضيعون فيه الواجبات، ويرتكبون فيه المحرمات، ولا يخشون الله ولا يخافونه فما قيمة رمضان عند هؤلاء؟ وماذا يستفيدون منه!.

والبعض الآخر من النَّاس لا يعرفون شهر رمضان إلَّا أنَّه موسم للتجارة وعرض السلع، فينشطون على البيع والشراء فيه ويلازمون الأسواق ولا يحضرون المساجد إلَّا قليلًا من الوقت وعلى عجل، فصار رمضان عندهم موسمًا للدُّنيا للآخرة، يطلب فيه العرض الفاني، ويترك النافع الباقي.

وصنف آخر من النَّاس لا يعرف شهر رمضان إلَّا أنَّه وقت للتَّوسل في المساجد والشوارع فيمضي أوقاته بين ذهاب وإياب، ويظهر نفسه بمظهر الفقر والفاقة، وهو كذَّاب مخادع، أو يظهر نفسه بمظهر المصاب بالآفات وهو سليم معافى، فيجحد نعمة الله، ويأخذ المال بغير حقّ ويضيع وقته الغالي فيما هو مضرة عليه.

فهذا قدر شهر رمضان في عُرف هذه الأصناف من النَّاس، وهذا من أعظم الحرمان لهم وأشدّ المصائب عليهم، حيث ضيعوا الفرصة على أنفسهم، وأعرضوا عن فوائد هذا الشَّهر، وصرفوا أوقاته في غير ما هيئت له.

عباد الله، كان النَّبيّ ﷺ يجتهد في هذا الشَّهر أكثر مما يجتهد في غيره؛ بل كان يتفرغ فيه من كثير من المشاغل، ويقبل على عبادة ربِّه. وكان السَّلف الصَّالح يهتمون بهذا الشَّهر غاية الاهتمام ويتفرغون فيه للتَّقرب إلى الله بالأعمال الصَّالحة، كانوا يجتهدون في قيام ليله وعمارة أوقاته بالطَّاعة، قال الزهري رحمه الله: إذا دخل رمضان إنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام، وكانوا يحرصون على الجلوس في المساجد ويقولون: نحفظ صومنا ولا نغتاب أحدًا، وكانوا يحرصون على صلاة التراويح ولا ينصرفون منها حتَّى ينصرف الإمام، وقد قال ﷺ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٤) متفق عليه. وقد قال ﷺ : «**مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ**»(٥) رواه أهل السنن.

فاتقوا الله، أيُّها المسلمون: وحافظوا على شهركم، وأكثروا فيه من طاعة ربِّكم، لعلكم تكتبون مع الفائزين أعوذ بالله من الشَّيطان الرجيم: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥ - ١٨٦].

(٤) من حديث أبي هريرة أخرجه البخاري برقم (٣٧) ومسلم برقم (٧٥٩).

(٥) من حديث أبي ذر أخرجه أبو داود برقم (١٣٧٧) والترمذي برقم (٨٠٦) وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي برقم (١٣٦٤، ١٦٠٥) وابن ماجه برقم (١٣٢٧).